ليست مصدر رزق فحسب، إنها وطن. تستعيد سميرة عزام موضوع تآلف الانسان والمكان في «الحب والمكان»، حيث نرى من جديد، وحدة الشعور والمكان، او تَموْضع الإحساس والشعور، فدلالة المكان هي دلالة الأحداث والأحاسيس والذكريات التي نمت فيه بشكل يمكن الفصل بينهما، فكأن المكان لا يأخذ دلالته إلا من خارجه، من التجربة الشعورية التي قامت فيه: «لقد قرأنا في حزن عينيه ان معنى الأشياء مرتبط في نفسه بطبيعة المكان»(١٥). يمكن القول إن هذه القصص في اقترابها من معنى المكان، إنما تقترب من معنى الوطن، وفي اقترابها تحكي لنا عن الغربة والاغتراب، عن غربة الانسان عن مكانه الاول، وعن اغترابه عن ذاكرته الاولى.

إضافة إلى هذه القصص، كتبت سميرة عزام جملة خواطر عن الوطن والعودة دعتها بـ «فلسطينيات». وهذه الخواطر ليست قصصاً، إنها سطور وجدانية تحكي الوطن وجماله، وتخاطب في جماله قلب الطفل الفلسطيني، وتحضه على التمسّك بالامل وبالعودة. وهي تتذكّر، في ذلك، أطياف الماضي، وتقف في فضاء الحلم منتظرة استعادة ما مضى، وربط طيف الماضي بصورة المستقبل الذي سيعود إلى ربوعه الاولى:

ـــ «يا من يسأل عن ربيعنا الذي كان وسيكون، سيعود الربيع إلى البيارة، وتعود البيارة تلخيصاً لمعطيات الفصول».

ـــ «قالت شجرة اللوز: اقسمت ألا ينعقد وعدي إلا لعيونهم، هؤلاء الذين باعدت بيني وبينهم ايام، فما اطعم إلا اليد التي جعلتني يوما موصولة بأسباب الحياة».

ـــ «بالأمس تمثّلت لي شجرة اللوز من جديد، فما رأيتها يباساً او خريفاً، لأنها أضاءت كل نجماتها البيض كما في عيد، وجعلتني اسمعها تقول سيعودون، وسأعود شجرة لها كرامات الشجر»(١٦).

وكما نرى، لقد عاشت سميرة عزام تجربة شعبها الفلسطيني، وحاولت كتابتها، وتوسّلت في سبيل ذلك وعيها الاخلاقي، وتلمّست تاريخ شعبها، بل جنحت احياناً إلى الامثولة والتحريض ودروس التاريخ. ومما لا شك فيه ان صاحبة «الظل الكبير» قد كتبت الشرط الفلسطيني في زمانها، زمن اللجوء والمعاناة وندب ما مضى، وعندما جاء الزمن الآخر، زمن المقاومة، حاولت الكاتبة الاقتراب من الزمن الجديد، بل اقتربت ايضاً من الحس السياسي، لكن موتها المبكر الذي تلى هزيمة حزيران (يونيو) اوقف ذلك الاقتراب، فبقيت قصتها، في سمتها العامة، أخلاقية ـــ انسانية. ومهما يكن من امر، فإن كتابة سميرة عزام تظل كتابة «فلسطينية»، واعني بذلك كتابة لصيقة بوضع الانسان الفلسطيني وهمومه، ولصيقة بشرط الانسان المضطهد بشكل عام، والفلسطيني كان، ولم يزل، واقفاً في هذا الشرط ويناضل ضده.

## الكتابة بين القيمة الفنية والقيمة الأخلاقية

السؤال الاساسي الذي تطرحه قصص سميرة عزام هو العلاقة بين الحكم الاخلاقي والكتابة الفنية. ماذا نعني بذلك؟ نعني بذلك مسافة الاختلاف بين الكتابة